رحيل الدكتور احمد الجلبي تساؤلات عن حياة رجل..

حكمت السعدي

أنا شخصياً، لم أعرف أحمد الجلبي عن قرب, إنّما كان حالهُ حال السياسيين الذين عرفناهم بعد حرب التغيير التي اندلعت وأسقطت نظام صدام حسين، وانطوت على أثر ذلك صفحةُ حكم حزب البعث ليتسلم زمام أمور البلاد، أولئك الذين مازالوا يسيطرون على دفة الحكم في العراق..لقد أختلفت آراء الناس حول أحمد الجلبي،وتباينت وجهات النظر في شخصيته، ودوره في عملية التغيير، وما ترتب عليها من تداعيات وتقلبات ومتغيرات، ومهما يكن من هذا الرأي أو ذاك, فأن أحمد الجلبي قد ماتن وبموته طويت صفحةُ حياته بكلِّ مافيها من مواقفٍ وأحوال، وحتى لو أراد شخص أن يكتب عن شخصية احمد الجلبي، كونهُ من أبرز سياسيي العراق بغض النظر عن موقفه، وماترك من انطباع في اذهان وأفكار الناس عبر سنوات مابعد التغيير فأنهُ(الكاتب) ربّما يقفُ امام حالٍ لايجدُ فيه ما من شأنه أن يتعلق بالمرحلةً السياسية الحالية أو القادمة، فوفاة احمد الجلبي هي وفاة فكر ومنهج وموقف، لهُ شكلهُ ومضمونه الواضح لدى اتباعه ومؤيديه، ومن يرى فيه من الناس من حالة تأثير على البرنامج السياسي للنظام الجديد، أنّنا ومن خلال مالدينا من معرفة عبر اللقاءات الإعلامية ومن خلال علاقاتنا مع بعض مقرّبيه ومؤيديه، بامكاننا أن نستنتج أن احمد الجلبي كان شخصية علميةً فكرية، أكثر مما هي سياسية، رغم إنّه قد قضى أعواماً طويلة في النضال السياسي ضدّ السلطة السابقة، ونرى إنّه ذو عقلية علمية فائقة، غير أنهُ لم يكن قد حقق ماكان يريد، ويقفُ وراء ذلك :

١ - عدم إستجابة بعض الكتل والتيارات والاحزاب لما كان يطرحهُ احمد الجلبي.

٢- لم تلتفت الحكومة الى الكثير مما كان يطرحهُ من رؤى وافكار،تحت ذرائع وحجج مختلفة.

٣- يمكن تشبيه احمد الجلبي بمدرّس عبقري موهوب، لكنهُ لم يمتلك وسائل توصيل الى الناس، وقد تقف وراء ذلك أسبابٌ عديدة.

٤- لم تكن لحزب المؤتمر ماكنة إعلامية قوية من شأنها أن تثبت حضورها في الساحة السياسية، مثل بقية الاحزاب والتيارات الأخرى، رغم إنّ حزب المؤتمر هو الذي كان بمثابة الخيمة التي اجتمعت تحتها كل الاحزاب والتيارات المعارضة.

٥- لم تلتفت كوادر الحزب الى أسباب انخفاض شعبيتهم بين الناس، والدليل على ذلك هو الدورات الانتخابية عبر كل تلك السنوات، فكان عليهم أن يقفوا على ذلك، ويبحثوا عن الحلول والمعالجات.

٦- في لقاءات قليلة مع الدكتور الراحل.. كنّا عندما نحاورهُ، فأنّه كان يقول: أنهم لم يسمعونا.. أنهم لم يدعونا (نشتغل)، وعندما نسأله من اولئك فيقول : أنتم تعرفونهم، وبذلك فأنهُ كان يواجهُ مشاكلاً في العمل السياسي, فضلاً عن انفصال عدد من كوداره عنه.

أخيراً: هل كان موت الدكتور احمد الجلبي خسارة فعلية للعراق وللعملية السياسية؟ ولو أفترضنا إنّه قد كُتِب له أن يعيش حياة أطول، فهل سيكون رجل العراق أو المرحلة أو يمسك بمفاتيح الخلاص وإعادة العراق الى وضعه الطبيعي..تلك مجرد تساؤلات عن شخصية الدكتور الراحل،ولاندري اين تكمنُ الأجوبة، سيّما وقد مات ذاك الرجل، وماتت معهُ أشياءٌ كثيرة..

متى نُفعّل السياحة العلاجيـــة ؟

شاكر عبد موسى الساعدي

يومياً نشاهد المئات من الرجال والنساء، وهم يراجعون الصيدليات الأهلية المنتشرة في كل منطقة وشارع، لشراء الأدوية والمستلزمات الطبية.. سواء بوصفة طبية أو بدون وصفة ،يحددها الطبيب المعالج , وأحياناً، نجتهد بشراء الدواء، ونذهب لأقرب صيدلية في منطقة السكن، نطلب من الصيدلي أو المضمد بما نرغب ونشتهي من الدواء , لأن الدواء في بلدي أصبح سلعة سوقية، تُشترى وتباع حالها حال الطماطم والباذنجان والرقي المستورد من دولِ الجوار, كذلك هو مستورد.

البعض يعتقد إن الظروف الصعبة التي مررنا بها عبر السنوات الماضية، وما عانيناه من حروب وحصار اقتصادي وتهجير وقتل على الهوية، سبب لنا أمراضاً عضوية ونفسية , جعلتنا موتى بلا قبور، نمشي على الأرض دون أن نعرف كيف ومتى نموت , بالسكتة القلبية أو بمرض الضغط أو السكري ؟ نعم للحروب المستمرة أثرها الواضح على الشعب وإفرازاتها هي : الفقر والعوز وكثرة الأيتام والأرامل والمطلقات والأمية الثقافية والسياسية، لكن هذه الحالة ليست حالة مطلقة كما يفهمها البعض، فمن خلال تجربتي المتواضعة، وسفري إلى بلدان أوروبا الشرقية أواخر السبعينيات من القرن الماضي الذي يُطلقُ عليه البعض - الزمن الجميل - وجدت مئات العراقيين والعراقيات، يراجعون الأطباء البلغار لغرض العلاج والتداوي بمدينة الطب للأجانب في أطراف العاصمة البلغارية - صوفيا - ومنهم زميلي الذي سافر معي , وقد شاهدت في تلك المدينة الطبية الجميلة، فتاة بصرية شابه تُعالج من مرض السرطان , بعد إن جرّب عليها أحد مدرّسي جامعة البصرة المتخصص في الكيمياء الحياتية الدواء الفاشل الذي أكتشفهُ أو صنعه عام ١٩٧٧م و باركته الحكومة في وقتها عندما أطلق عليه (بكرين وصدامين), تيمناً بمسئولي النظام السابق آنذاك.

خلاصة القول : نحن مرضى بمرور العصور .. منذ العصر السومري حتى اليوم , ولكن أمراضنا ازدادت وتفاقمت بعد عام ٢٠٠٣م , والكثير منها سبّبها حُكّامنا السابقين واللاحقين , كمرض الإرهاب والفساد والانتخابات المزيفة ومرض الوعود الكاذبة و المحاصصة السياسية والطائفية والتهجير، وأخيراً وليس آخراً , الهجرة لبلاد الغرب ومرض الكوليرا، وعلى الرغم من وجود عشرات المستشفيات التخصصية في بغداد والبصرة وإقليم كردستان العراقية، وبقية المدن , العراقية منها والأجنبية، تجدُ اليوم الآلاف من العراقيين يُعالجون في جمهورية إيران الإسلامية.. ليس على نفقة الحكومة العراقية أو من باب المساعدات الإنسانية والأخوية للجمهورية الإسلامية، إنما العلاج على النفقة الخاصة بالعملة الصعبة (الدولار) وليس بالتومان الإيراني الذي فقد ثلثي قيمته منذ عام ٢٠١١ م حتى الآن .. أينما تذهب في إيران تجد العراقيين في كل عيادات الأطباء، وكل مستشفى أهلي لتلقي العلاج من إمراض القلب والعيون والأنف وغيرها , وبعد أن تسأل أحدهم عن الأسعار يقول لك : « إن الأطباء رفعوا أسعارهم أضعاف الأسعار السابقة، وأضعاف ما يدفعهُ المواطن من بلدهم، وحينما تسأل عن السبب يقولون هذه توجيهات الحكومة» !! وإذا صحّ القول أنصح العراقيين الراغبين بالعلاج الذهاب إلى جمهورية ألمانيا الإسلامية للعلاج في مستشفياتها، وعلى نفقة الأم و الأخت المستشارة الألمانية (أنجيلا ميركل)، أو تكون تكلفة العلاج بأسعار متواضعة ورمزية .. لكي يرى العراقيون الإسلام الذي وجدهُ الفقيه والعالم المصري (محمد عبده) عندما زار أوروبا قبل أكثر من مائة عام، والذي لم يجدهُ في بلدانٍ إسلامية أخرى، والسؤال الموجّه إلى وزارة الصحة العراقية : - إذا كنا في حالة تقشفٍ مالي مزمن , والأزمة المالية التي يمرُ بها العراق ألان ليست طارئة، وإنها قد تستمرُ لعدّة سنوات قادمة , لماذا لا نفعّل السياحة العلاجية في العراق أسوة بإيران ولبنان والهند، ونشجع وندعم المستشفيات الحكومية على إجراء العمليات الجراحية، مقابل مبالغ يتقاضاها القائمون عليها، دون أن يُهاجر أطبائنا الأكفاء خارج العراق بحثاً عن المال والأمان المفقود، والذين يقدّر عددهم بعشرة الآف طبيب مهاجر , والكثير منهم يعمل في جامعات ومستشفيات الدول الغربية والعربية، ويساهمون في تطوير عجلتها الطبية والتقنية، دون أن تخرج عملتنا الصعبة خارج البلد , كذلك المستشفيات الحكومية، تنافس المستشفيات الأهلية والأجنبية العاملة في العراق.. في إجراء العمليات النوعية , ولدينا الأطباء الاختصاص، حملة شهادة البورد العراقي والعربي والمهن الطبية الأخرى السائدة , مع وجود سوق مفتوحة لاستيراد الأدوية والمستلزمات الطبية، بأنواعها من كافة دول العالم بما فيها المنشطات.. أم إنّ واجب المستشفيات الحكومية، إعطاء حبوب الباراسيتول للمرضى فقط ، وترك الفقير يموت على الرصيف ، وما أكثر الفقراء في بلدي؟

[واذا اتتك مذمتي من ناقص ... فهي الشهادة لي باني كامل]

عباس طريم

- نعم أنا أتشرف بأنّي كاتبُ مقال [العلاقة الطيبة بين عمر وعلي] -

كتبت المقال المعنون : العلاقة الطيبة بين عمر وعلي، ونشرتهُ في صحيفتنا التي تصدر في ولاية اريزونا، باللغتين العربية والانكليزية , وارسلتهُ الى عدّة صحفٍ أخرى للنشر، واصدرنا بعدها عدّة اعداد من الصحيفة، ولم أسمع أي تعليق أو انتقادات حول المقال، وقد مضى أكثر من ثمانية أشهر على نشره، وما أن سافرتُ الى العراق، حتى وصلني هاتف من احد اصدقائي يُبشّرني , إن المدعو[م الانصاري] ،عقد عدّة اجتماعات وندوات حول الموضوع ، وتمّ تجريمي من خلال بعض المشعوذين الذين اكتشفوا .. إن مصائب العراق سببها , عباس طريم، وإن أموال الدولة التي نُهبت وإن تدمير البلد والفيضانات, والهجرة الجماعية, وعدم تبليط الطرق والبطالة والفقر وأنتشار الرشوة في جميع مفاصل الدولة العراقية , سببها أنا!! وكل جريمتي هي : انني ذكرتُ ما دوّنه التاريخ من علاقة طيبة , بين عمرٍ وعلي، وكيف كانا درعاً حصيناً لدرء الاخطار , أوصلا الإسلام الى ما وصل اليه الآن من قوّة ومنعة , وانتشار في جميع أقطار العالم، فثار المقاتل [م الانصاري] وانتفض لكرامة الإسلام التي هُدرت , بجمع عمر وعلي .. على طريق الخير والمحبة والاخاء !؟كان المفروض أن اسلّط الضوء على العداء والكراهية، والبغضاء بينهما .. كي يرضى [م الانصاري] وحفنة من المتعصبين الذين يجدون في سبّ سيدتنا عائشة والصحابة الكرام .. عنواناً يُبرزُ مواهبهم , ويميّزهم في ميزان التفاضل، لينالوا الحظوة لدى اصحاب العقول المتحجرة .. الذين أوصلوا البلد الى الحرب الشاملة، ومن المضحك المبكي , إنّ الموماً إليه .. لا يملكُ أيّة مصداقية بين الجالية العراقية, وقد طرد من جميع المساجد , بسبب سوء أخلاقه وطعنه في ظهور ابناء الجالية وتصيّده لاخطاء الآخرين .. للتشهير بهم عند الحاجة .. في ظروف أختلاف الرأي، والمعروف أننا جالية متآخية,متعاونة في كل المناسبات الدينية والوطنية، حتى إن الأخ العزيز عمر الاعظمي [أبو عبد الله] صاحب مطعم السندباد . يشاركُ في كل شهرٍ من محرمٍ ويقيم العزاء، ويساعدُ في كل صغيرة وكبيرة، كذلك باقي الأخوة (الأربعيين- المذاهب الأربع الإسلامية) وهم يحبون آل البيت ، وسماحة السيد السيستاني - طوّل الله بعمره، يدعوهم [بأنفسنا] ولم نسمع من علمائنا إلّا خيراً ,بطبيعة العلاقة التي تربط رموزنا الدينية، إلّا ما شذّ من المنتفعين الذين يشتمون السيدة عائشة والصحابة الكرام، ويعيشون ويرتزقون من خلال [صب الزيت على النار] وتأجيج مشاعر الكراهية والاحقاد، ومما قالهُ عني الثائر (م الانصاري) :

« أنّي خارجٌ من الملة، وأحاول تزييف التاريخ، وانحازُ الى مبغضيّ الإمام علي ، وأقول بأقوالهم واتفوه بما درج عليه أسلافهم .. من تلفيق الأساطير العارية عن الصحّة، وعلى الجميع أن يقاطعوا صحيفة (عراق بريس) التي لا تمثلهم، وتنحاز الى اعداء (الجعفريين- المذهب الجعفري الإسلامي) , وأنها لا تمثّل سوى عباس طريم، مؤسسها ورئيس تحريرها، المعني بكل ما جاء بها من اكاذيب , وتهريج ودجل والذي يقرأ التاريخ بالمقلوب» .

هذه الأمور دعتني الى زيارة الوقف (الجعفري) ولقاء الشيخ الدكتور علي الخطيب- نائب رئيس الوقف في بغداد , وطرح المسألة امام سماحته، لمعرفة وجهة نظر الفقه (الجعفري) في ذلك الأمر .. خاصة إن سماحة الشيخ .. كان في امريكا واطلع على المقال في زيارته لولايتنا .. واشاد به، وأعتبرهُ من المنافذ التي تقرّب القلوب , وتوحد الخطوات, وتزيد من التلاحم الذي نسعى إليه بكلّ الطرق، وقد شكرني سماحتهُ ثانية، ونصحني أن لا التفت الى أصحاب الفتن الذين لا هم لهم سوى إشعال الحرائق هنا وهناك ..

وقال : نحنُ سعداء بما تكتب ولا يسعنا إلّا أن نشد على يدك، واشاد بالعلاقات المتينة التي تربط رموزنا الدينية، وأنهم كانوا جميعاً، يتسامون فوق الاحقاد , وإن صدورهم تسعُ العالم ومن فيه , وكانوا يضعون يداً بيد لخدمة الإسلام والمسلمين، وقد سافرت الى النجف الاشرف والتقيت العلماء الأبرار هناك، وكان جوابهم لا يختلف عن سماحة الدكتور علي الخطيب، وأنهم اشادوا بالأقلام التي تخدم الإسلام , وتجمع الكلمة , وتزيل الغشاوة عن العيون التي لا تبصر، وقد نصحوني أيضاً، أن لا التفت الى أصحاب الفتن والتجييش، خاصة ونحنُ في ظروفٍ , تستدعي رصّ الصفوف والتصدي للعدو الداعشي، وتفويت الفرصة على كلّ من تسوّل له نفسه، العمل على تمزيق الوحدة والعزف على أوتار الحقد والكراهية.. من خلال بثّ الفرقة بين ابناء البلد، والسؤال الذي يفرضُ نفسهُ الآن : أيهم نصدّق ؟ علمائنا الابرار.. الذين يدفعون الى المحبة والتآخي ونبذ التعصب , والابتعاد عن الغلو , أم [م الانصاري] الذي يُحرّضنا على أن ننقل معركة الطف الى [اريزونا] وبالتالي .. نحن الخاسرون جميعاً ؟

احمد الجلبي والاعداء الأربعة

صباح الرسام

سياسيٌ معروفٌ عالمياً، أختلفت فيه الآراء بين محبٍ.. يكنُ له التقدير والأحترام والامتنان ولقبوه مهندس إسقاط النظام الديكتاتوري، وبين مبغضٍ.. يحاربهُ ويعتبرهُ خائناً، ويشنُ عليه هجمات إعلامية، وهكذا شخصيات سيفصحُ عنها التأريخ، ويعطيها المكانة التي تستحقها.ما يحسبُ للدكتور احمد الجلبي، العقلية الفريدة التي استطاع من خلالها، تنفيذ مخططه ،بإسقاط النظام الصدامي الجاثم على صدر العراق ، وقد نجح بإعجوبة في تغيير سياسة امريكا تجاه النظام الصدامي الذي وقع على بياض.. متعهداً بتطبيق ما تمليه عليه امريكا ، رغم هذا الموقف الصدامي، استطاع الجلبي اقناع امريكا بإسقاط صدام، وبعد سقوط النظام وقف الجلبي ومعه القادة المخلصون بوجه المخطط الامريكي، عندما شكّلوا مجلس الحكم على أساس طائفي، بدل اجراء انتخاباتٍ ، فشكّلوا البيت (الجعفري- المذهب الجعفري الإسلامي)، لكي تكون قوة موحدة، بوجه بول بريمر الحاكم المدني للعراق ، كما إن مبعوث الأمم المتحدة - الأخضر الابراهيمي، كان على خلافٍ مع الدكتور الجلبي الذي فضح الأمين العام للأمم المتحدة - كوفي عنان، وأبنه المتورط في كوبونات النفط ، وهذا جعل أصحاب القرار في البيت الأبيض يحددون حجم الجلبي ، والمشكلة الأكبر التي سببها لامريكا، هي كشف عمليات التجسس الامريكية على إيران، العدو الأول للولايات المتحدة ، وقد عرفت امريكا إن الجلبي هو الذي الذي أبلغ إيران عن التجسس ، وقد داهمت مقرّات حزب المؤتمر الوطني لأكثر من مرّة ، مما جعل الجلبي يخسرُ الكثير من موقعه السياسي، بل أصبح العدو اللدود للولايات المتحدة الامريكية، إمّا العدو الذي شنّ عليه هجمة إعلامية تسقيطية هم "الصدّاميون" الذين كانوا يحكمون بالحديد والنار، ولم تكن الهجمة موجهة للدكتور الجلبي وحده، بل جميع القوى التي ناضلت وقارعت النظام الصدامي، وكانت الحصة الأكبر من الذين استهدفهم "الصدّاميون" ، هم المجلس الأعلى والدكتور الجلبي، لمكانتهم في مقارعة النظام وفي العملية السياسية الديموقراطية ، وهذا طبيعي.. أن يكون نهج هؤلاء محاربة الجلبي ، خصوصاً، وهو الذي اجتث الكثير من الصداميين عندما تسنم رئاسة هيئة اجتثاث البعث، وقد منع الكثير منهم من تسنم مناصب تنفيذية في مؤسسات الدولة ، الجلبي هادم فردوس الصداميين، ولولاه لما سقط النظام الصدامي، كما إن موقع الدكتور احمد الجلبي، كونهُ خبيراً أقتصادياً، خصوصاً إنّه دكتوراه في فلسفة الرياضيات، ويمتلكُ خبرة مصرفية ، فكان يراقب صرف الحكومة للأموال، وكشف الكثير من الملفات ، فكشف الفساد في وزارة الدفاع ووزارة الكهرباء في حكومة اياد علاوي ، وبقي يحاربُ الفساد بقوّة كما حارب النظام المقبور ، وكشف الكثير من ملفات الفساد، أهمها غسيل الأموال والمصارف والعقود الوهمية التي تدينُ الحكومة الأخيرة، وهذه الملفات الخطيرة قدّمها للنزاهة والمحكمة ، مما جعل الجلبي هدفاً للتسقيط لدرجة بثّ أكثر من فديو كاذب، لتشويه صورة الجلبي، وأخرها اتهام الجلبي بسرقة الآثار، بينما الحقيقة إن الامريكان اصحاب السلطة في حينها، هم الذين أخذوا الآثار اليهودية ، هذه واحدة من التسقيطات، ناهيك عن الآف الفيسبوكيين الذين يعملون على تسقيط المخلصين، بنشر الأخبار الكاذبة والمفبركة لتشويه المخلصين المحاربين للفساد ، بالمقابل ينشرون بطولات وهمية للفاسدين الذين دمّروا العراق، هؤلاء السُرّاق الفاسدين ضللوا الحقائق، وحاربوا الجلبي الحريص على المال العام، والجهل كان إحدى الجبهات المعادية للدكتور الجلبي والمخلصين الذين ناضلوا من أجل الشعب الصابر ، وهؤلاء طعنوا القادة الذين أفنوا حياتهم بمقارعة النظام الصدامي ، فكانت عبارة (كلهم حرامية)، نجدها على ألسُن الجهلة، لأنهم لا يفرّقون بين الذي شارك بحكومة الفساد، وبين المحارب للفساد , وتهمة سرقة بنك البتراء ، تناقلتها شرائح الجهلة والسُرّاق الذين سرقوا المال ودعمتها الفضائيات الصدامية ، وحقيقة هذه التهمة بسبب رفض الجلبي، تعاون البنك مع النظام الصدامي ، وقد دُبّرت له مؤامرةٌ، بالتعاون مع الملك حسين- ملك الأردن، مما جعل الجلبي يهربُ من الأردن برأس ماله ، والغريب إن محكمة عسكرية !!! حكمت على الجلبي بالسجن 22 سنة، وهذا يثيرُ الدهشة والاستغراب.. ما علاقة محكمة عسكرية بهكذا تهمة ؟؟؟ هنالك سرّ لا يعلمهُ إلّا الله والملك حسين ، وقد أعترف الملك بالمؤامرة الحقيرة التي دبّرها صدام ضدّ الجلبي ، هؤلاء الجهلة لايعرفون إنّ الجلبي من العائلات البغدادية العريقة والثرية التي أحسنت للناس ،لدرجة إن الحاج عبد الهادي وزّع أراضيه على الفقراء، وبنى مستشفى خاص للأطفال من جيبه الخاص ، وكانت مدينة الحرية تسمى مدينة الهادي، نسبة لعبد الهادي الجلبي ، كما إنّ الدكتور احمد الجلبي لم يسكن منطقة الخضراء، بل سكن في دار والده .

رحل الجلبي ومعه الكثير من الأسرار المهمة، أهمها الأموال التي نُهبت من خزينة العراق وقدّمت الكثير من الملفات الخطيرة للنزاهة ، فهل ستختفي الملفات التي قدّمها الجلبي أم إن النزاهة ستقوم بواجبها، وتكونُ أسماً على مسمى ؟؟ وهل يلعب القضاءُ دوره، أم يلملم القضايا ؟؟؟ الله أعلم ، رحل وترك في قلوب الاصدقاء والمحبين غُصة ، ورحيلهُ فرحة للسُرّاق والفاسدين والفاشلين، وفرحة للجهلة الذين لا يميزون بين الصالح والطالح ، رحل أبن العراق البار، ورحيله خسارة وطنية لا يمكنُ تعويضها .

شيزوفرينيا الخوف.. ثقافة الحاكمية العربية

ايمان عبد الملك

الحياة اليومية القلقة للفرد العربي داخل مجتمعاتنا الشرقية ، تجعلهُ يعيش أمام مشاكل معقّدة مؤلمة نفسياً، يصعبُ الحلّ فيها ، ذلك من خلال عدم قدرة التركيز ، نتيجة الأوضاع المضطربة غير الآمنة ، مما يؤثرُ سلباً على حياته اليومية المعتادة ، ليعيش بتوتر دائم، مرفقة بعصبية تقودهُ الى الخوف والانطواء والعزلة ، أو بالانتقال الى العبثية في التصرف والأداء والتعامل مع أمور الحياة الخاصة والعامّة . إنّ السياسة المتّبعة في بلادنا، وكبت حرية التعبير ،والصور التي نشاهدها يومياً على شاشات التلفزة، معززة بتسويق ثقافة القتل والإرهاب والتنكيل، تجعلنا نتقمصُ أكثر من قناعٍ، يظهرُ تلقائياً بسلوكياتنا النفسية وانعكاساتها الخارجية، سواءً في النفس أو المنزل وخارجه، لنمسي ونصبح بشخصياتٍ مختلفة، ليس بداعي التغيير، لكن حسب الظروف والضغوطات الاجتماعية والسياسية التي تلازمنا، فعندما يدخلُ المجتمع في حالة الشرذمة والطغيان السياسي والموروث الثقافي، يضيعُ من بعدها المرء ، ليتملكه الخوف والرعب وسط القوة والبطش ،لتزداد النفوسُ خواءاً، هنا قد نسعى الى طرح الأسئلة التي تقودنا الى تبسيط الفعل، وقتل روح التجدد والمبادرة لحياةٍ أفضل بسمو الفعل المتطور ، لنسلّم ونرضى بما تمليه علينا حكوماتنا من قوانين مجحفة ، ونصبحُ ممتثلين للأوامر الصادرة من القادة، دون أي مناقشة أو تفكير ولو بدرجاته الدنيا أو القيام بأي من المعايير الجرينة ، لنمّسي عديمي القدرة بامتلاك أي قرار، نابع من الذات أو تفكير صائب يُحسّن وضع البلادً ، فالضغوطات المتتالية تسيطر على أسلوبنا، ونجدُ نفسنا متتبّعي سياسة الخوف، نتيجة الموروث الثقافي والنظام التربوي ورقابة الدولة ،فضلاً عما تلميه علينا ثقافات شخصية مصلحية، تحت عناوين دينية، قد لا تمتُ أصلاً لروح الدين ورسالته السماوية السمحاء ، ليحولوا حتى تلك الروح التواقة الى أفعال سلبية تُزرعُ في القلوب منذُ نشأتها ، دون أن نعي أننا نتجه بالطريق المعاكس الذي يصلُ بنا الى زرع التعصب و التطرف لا إرادياً، واذا حاولنا الابتعاد ينعتونا بـ "الملحدين" !! الواجب يتحتم بتوصية الشعوب العربية ومثقفيها خاصة ، أن يواصلوا الكلمة دون خوف وابداء الرأي بوضوح، وأن لا يقفوا مسلوبي الإرادة في قول كلمة الحق ، ولا يجعلوا الخوف يبعدهم عن بلادهم من خلال هجرة مؤجندة مقصودة ، لنصل الى حلولٍ جذرية من خلال زرع الروحِ الوطنية الأصلية المتطورة ، إضافة الى انشاء المؤسسات الأجتماعية والمدنية لحماية حقوق الإنسان ، وفسحِ مجالٍ بيّن واضح لتعددٍ فكريَ وسياسي، وانسجامه بوحدة البلاد.

الطفولة العراقية .. عافتها البراءة وسرقتها القسوة

حمزة الجناحي

أينما تولي وجهك وفي أي مكان في العراق.. في الأسواق أو الشوارع أو الحارات و"الدرابين" أو في شوارع المدن الكبيرة، عند تقاطعات الطرق.. في المقاهي على حافات الأنهار.. عند كراجات السيارات في الاحياء الصناعية، قرب محطات الوقود.. في أي مكانٍ ممكن أن يكون فيه ماء وهواء، ترى أزهاراً، تسير على الأرض، لا تفوح منها رائحة الورود ،أزهارٌ شاردة العيون كثيرة الحراك، ليس في المكان الذي اراد الله لها أن تكون فيه !! أنهم أطفال العراق، فلذات اكباد الاباء والأمهات، غادرتهم الطفولة مبكرة، وجرّدتهم من أناملهم الغضة وأحلامهم البريئة التي تنتهي بأخر النهار.

أطفال العراق الذين ليسوا كأطفال العالم، وفي أي بقعة من بقاع الارض.. لم يعيشوا الطفولة ،ومن عاش منهم طفولته المتواضعة، ادخلوا مع تلك البراءة، خشونة الكبار وأفكار المنحرفين.. في بلدٍ عاث فيه الكبار وقتلت بتطلعاتها الصغار، وأخرجتهم من سنين أعمارهم وعالمهم، ومنذ عقودٍ بدأت الهجمة المنظمة على تلك الطفولة، وبدأت البرامج المنحرفة تدخل أطفال العراق الى مختبرات القتل والسوء والتجريد من كل ما يمتُ لتلك الطفولة من مسمى ..الطلائع.. الفتوة.. البندقية.. المسدس.. الملابس الخاكية .. الحروب .. الأب الذي يرتدي ملابس العسكر، الموت والطائرات وبرامج المعركة، والقائد الضرورة الذي يُغني لهُ أطفال العراق أناشيد النصر، ألعابٌ تملأ المحال والأسواق، لونها عسكري وخاكي، لا توجد لعبة غير موسومة ومختومة بمعمل العنف، ولم يعرف أطفال العراق معنى للطفولة ولم يعيشوها، مثلما عاشها أطفالٌ في مكانٍ آخر، فارقهم الاباء مبكرين، وذهبوا الى الحدود، ليلقوا بأنفسهم بأتون الموت، ورد المحتل الوهمي، ودائماً ما يعود ذالك الأب وهو محمولٌ على الآلة الجدباء، وذلك الأبن لا يعرف إنّه فارق الحنان.. لم يبكي، لأنهُ لا يعرف للرحيل معنى، ولا يعي ما سيجري عليه في الغد.. وجد نفسه بأحضان أم عافها الزوج، وهي لا تستطيع أن توفر لهم الحنان، ولا لقمة العيش، أو هرب والده خوفاً من بطش القائد ومؤسساته البوليسية، ليترك الابناء خلفه ،تعبثُ بهم ايدي الرذيلة، ويناديهم نداء الضياع أو رؤية أب لا يستطيعُ الحراك، ليس لهُ إلّا عيونٌ تنظر الى خالقها، وأيدٍ ترفعُ بالدعاء (خذ أمانتك) فالأب الذي لا يستطيع أن يرى طفولة أبنه، وهي ميتة، يتمنى الموت، الأب الذي لا يستطيع أن يأتي برغيف الخبز ميتٌ في الصميم .. عقودٌ مرّت وهذا هو الحال للطفل العراقي الذي مات مبكراً، بعد أن سرقوا منه الانتماء لطفولته وعالمه البهيج الملون، وتركهُ لعبة بيد الزمان الذي اضحى هو أيضاً لعبة بيد العتاة ،هكذا عاش المواطن العراقي، وهو لم يمر بعالم البراءة، فأصبح الطفل سلعة كباقي السلع ،تباعُ في سوق الرقيق بأبخس الأثمان، وحتى يومنا هذا الذي حصل فيه التغيير، وسقطت أخر معاقل الدكتاتورية، ظلت الطفولة العراقية مهملة، ولا يوجد من يلتفت لها.. سواءٌ كان من الحكومة أو المنظمات المعنية بالطفولة أو حتى منظمات المجتمع المدني،وجُرّت الطفولة جرّاً الى عالم الحرب والقتل في الوضع الجديد، فتعرض الأطفال العراقيون ودون رحمة الى الأختطاف والتهجير والقتل بالسيارات المفخخة، لا بل تمّت مساومة ذويهم بالمال بعد خطفهم من أماكن الدراسة، مما حدى بالأهل الى منع أطفالهم من الذهاب الى المدرسة، وملازمة البيوت التي تعج بحكايات القتل والحرب والإرهاب.. كل ذلك بالتأكيد، سيترك أثراً نفسياً خطيراً جداً على نفسية الطفل وبنيته الشفافة التي تحتاجُ الى التعامل معها بحذرٍ شديد، خشية المساس بتلك البنية التي وهبها الله الى بني البشر في مقتبل العمر، وإنّ الذي يجري اليوم في العراق،جعل الطفولة العراقية تبتعدُ كثيراً عن طفولتها، وتعيشُ مبكرة، عالمُ الكبار المليء بالتعقيدات والأمراض المجتمعية، وبالتالي يؤدي ذلك الى عدم اعداد جيلٍ مؤهل، لقيادة مجتمع في المستقبل، ونقلهُ الى برّ الأمان، وإنّ القسوة التي يعيشها المجتمع العراقي، ومنذ عقودٍ من الزمن، يقطف ثمارها اليوم العراق.. في تصرف جيل، عاش حرمان الطفولة البريئة ،جيل يعبثُ اليوم بمشاعر الناس، ويمتهن الاجرام والقتل والرذيلة، لأنّه تربى في عهد النظام البائد على أسس خاطئة، اريد منها إعدادُ مجتمع حربٍ، وليس مجتمع سلام، فنرى شباب اليوم الذين هم أطفالُ الأمس، وقد بدت على تصرفاتهم القسوة، وعدم الأهتمام بتوسلات الوطن والمجتمع الجريح، كونهم قد ورثو إرثاً ثقيلاً، غايته إعدادهم أعداداً سيئاً نحو الانزلاق في الهاوية، لذلك نرى معاناة الحكومات الجديدة من القضاء على آفة القتل والسلب التي يمتهنها أطفال الأمس، وملء السجون العراقية من تلك الاعدادات السيئة التي كانت تسمى جيل المستقبل (نضمن الشباب لنكسب المستقبل)، وهذا هو المستقبل الذي أعدّت له بطريقة الملبس الخاكي والبندقية والبلطة وآلة القتل التي يتباهى بها الشباب اليوم، إنّ انشغال الحكومة بالجوانب الأمنية التي بُنيت على أساس سيء، لا يعطي لها التبرير بعدم الأهتمام بالطفولة الضائعة اليوم في شوارع المدن والأزقة والحارات، تناديهم العصابات وأرباب القتل والحرب وبسهولة ، وبدون معاناة، كون إن التركيبة النفسية للطفولة غير سوية وغير مبنية طفولياً، فنرى الطفل وهو في سنينه الستة أو السبعة، وهو يتحدث بأحاديث تفوق عمره، بل تفاجيء المستمع، أو إن ذلك الطفل يتعاطى المخدرات ويسوّقها أو يعمل في التسول للعصابات أو يعمل كدليل للقتل، وحتى إنّه يشترك في زرع العبوات، ويحمل سلاحاً أكثر وزناً من وزنه وأطول من طول قامته !! إن عدم الأهتمام بهذه الشريحة ، يعني أننا سنرثُ مستقبلاً معقداً تملئهُ العقد المريضة، ويصعبُ الشفاء منه لسنين عديدة.. حتى إن الطفل الذي يعيش في كنف الأب والأم، ويعدُ اعداداً جيداً في هذه المرحلة لم يسلم من المعاناة المريضة في المجتمع ،فنرى مثلاً إن لعب الأطفال كلها عبارةً عن آلات قتل مُصغرة، مثل البندقية والمسدس والراجمة، لا.. بل إن بعضاً من هذه الآلات لا تقلُ خطورة عن السلاح الحقيقي، وبنفس الحجم تقريباً، ويؤدي نفس العمل لتلك الآلات الفتاكة، ولاتعمل الجهات المختصة على التدخل في منع تداول مثل هذه الاشياء الخطيرة التي تترك على الطفل أثراً نفسياً خطيراً، ومع دخولها الى العراق ومعاقبة مستورديها، إن العوز والفاقه وفقد الأب أو الأم وترك الطفل للمدرسة وانخراطه في مهن الكبار، فأل سيء على المجتمع العراقي الذي يعتبرُ عدد فئة الأطفال أكبر من باقي الفئات العمرية، وبالتالي يعني هذا ضياع تلك الورود ورحيلها الى عالم غير العالم الذي يجب أنْ تكون فيه، وقتل الطاقات الواعدة للبناء، إن الأطفال الذين يعيشون في عالم صحّي طفولي، ويتدربون على أيدي مهنيين وأختصاصيين يُعدونهم نحو برّ الأمان، هو الذي يجب أن يعيش فيه الطفل، ولابد أن يكون فيه، والدولة مطالبة باحتضان الطفل العراقي وسنّ قوانين صارمة للحفاظ عليه، وبناءِ أساس سليم له، والعمل ضدّ تعريضهمً للضياع، كما هو حال الدول المتقدمة، ونشر ثقافة الطفل وإعداد العائلة نحو هذا المسار، وعدم التفريط بمراحل الطفولة وضياعها، والضرب بيدٍ من حديد.. حتى لو كان المخطئ والمسيء هي العائلة ،وتعريضهم للمسائلة القانونية في حال الاساءة للطفل، كما هو حال العالم اليوم الذي يخرج الطفل وهو نابغة، وتبدو عليه علامات التفوق في سنينه الأولى، وتهيئته للمستقبل، سوف تجنّب المجتمع شرور التحول الذي لعل الأطفال السيئين يعكسوها على مسيرة المجتمع الصالحة.

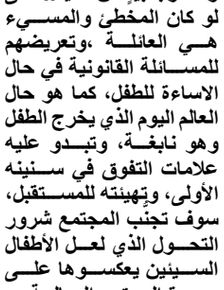

المقالات الواردة لاتعبر عن رأي الصحيفة انما رأي كتّابها